سراديب الضياع

مجموعة قصصية

محمد الوديير

الطبعة الأولى

2020م- 1442هـ

ديوان العرب

للنشر و التوزيع

عنـــوان الكتاب: سراديب الضياع

اســـــم المـؤلف: محمد الودير

التصنيف الأدبي: مجموعة قصصية

رقـم الإيـــــداع: 21600 / 2020

الترقيـــم الدولي: 0 - 95 - 6830 - 977 – 978

تـصـمـيـم الغلاف: د. محمد وجيه

التدقيـق اللغوي: د. هبة ماردين

التنسيق الداخلي: د. محمد وجيه

رقـــــم الطبـعـة: الطبعة الأولى

المديـر العام: د. فادية محمد هندومة

المدير التنفيذي: د هبة ماردين

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقـوق الطبـع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجـوز بأي صورة إعادة النشـر الكلـي أو الجزئـي، أو نسـخه أو تصـويره أو ترجمتـه أو الاقتبـاس منـه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

سراديب الضياع

مجموعة قصصية

محمد الوديـر

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
ديوان العرب
حقوق حلمك

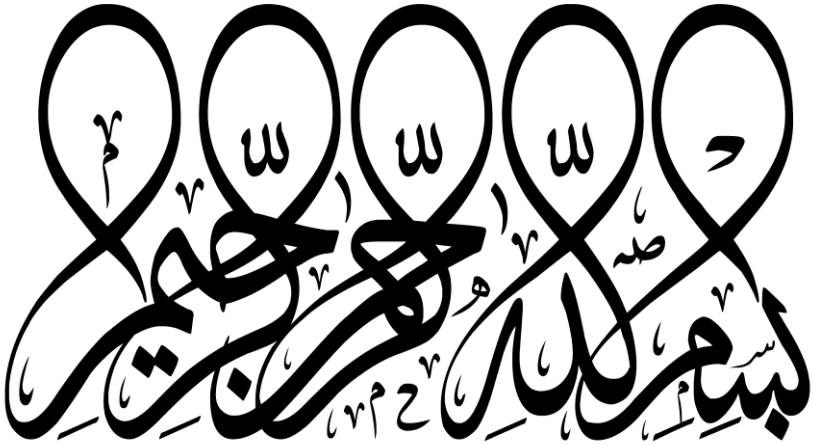
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى أمي الحبيبة رمز الحب و الكفاح: أنت من تجعلين لحياتي معنى.

إلى روح أبي الحبيب قدس الله سره: أفتقدك.

إلى أخي العزيز و الحبيب عادل الوديير: أحبك بحجم السماء.

إلى أخي و صديقي الغالي أسامة صبراق، أعتز بك و بوجودك في حياتي.

إلى صديقتي و عزيزتي الأمازيغية حنان: أسعد الله قلبك أينما كنت.

إلى أغلى أخ و صديق: حسن زيدان: علمتني الكثير (لك مكانة خاصة في قلبي)

إلى "معلمي" و أخي عبد اللطيف بوگام: لك كل الود و الاحترام.

إلى أعز و أروع إنسانة وصال دراج: قلبك قنديل ينير العالم.

إلى جميع أصدقائي الأوفياء وعلى رأسهم ، إدريس شاكر، مصطفى أخياط وصلاح شرقون: ممتن لكم.

إلى صديقتي الجزائرية شعلة: أنت عنوان للمثابرة و الكفاح (لقلبك السعادة)

إلى كل أفراد عائلتي الكبيرة: أحبكم.

إلى كل شبر من مدينتي الغالية أسفي: أعشقك حد الجنون.

وأخيراً أهدي هذه الأضمومة القصصية إلى جميع أولئك الذين يعيشون على هامش الحياة: أنتم الأفضل.

محمد الودير

****

تقديم

عزيزي(ت) القارئ(ة) :

لطالما حلمت بأن أصير كاتباً، ولطالما كان هذا أسمى هدف لي، ولتحقيقه عمدت إلى تفكيكه لأهداف صغيرة، بدءاً من مشاركتي بمسابقات للمبتدئين بقصص قصيرة متواضعة، لكن ما لبث وأن تحسن مستواي قصة بعد قصة وأضحيت قادراً على الفوز في أغلب المسابقات التي أشارك بها، مما منحني القدرة على الاستمرار والشجاعة لتتبع خطى حلمي الأكبر، بعد هذه المرحلة أصبحت أتطلع إلى نشر نصوصي على صفحات جرائد ورقية عربية، وقد تأتى لي ذلك بنشر خمسة أعمال قصصية، كما شاركت بأربعة مجاميع قصصية مع ثلة من المبدعين العرب، لكنني دائماً ما كنت أتطلع إلى كتابة ونشر عمل خاص بي، يحمل اسمي، ولا أخفيكم أنني قد أجلت الأمر مراراً وتكراراً لسبب واحد وهو أنني كنت أسعى إلى كتابة عمل يرقى إلى كونه عمل أدبي وأن يكون قادراً على منافسة أجود ما يروج

بالساحة الأدبية العربية، وأن يكون له تأثير إيجابي على القارئ بعيداً عن الميوعة والانحطاط، عمل أكتبه عن قناعة ورؤيا واضحة أعبر من خلاله عن تصوراتي لمواضيع اجتماعية ونفسية تنخر المجتمع العربي وتؤرق باله، مواضيع استحوذت على تفكيري مؤخراً بشكل مسترسل، وأعنف مما جعلني أوقن علم اليقين أن هذا المخاض الفكري سينتج عنه ولادة أول أضمومة قصصية لي وأنه قد حان الوقت ليتم ذلك، لذلك ارتأيت أن أسافر وأنعزل بقرية جبلية صغيرة بعيداً عن الأهل والأصدقاء، و أن أعتزل عالمي المعتاد لعيش حيوات الآخرين من خلال السفر بخيالي وعيش حياة عشرين شخصية، قدرت مرحلة سفري بحوالي شهر لكنني استغرقت **5** أيام فقط وقد كانت كافية لكتابة هذه المجموعة التي بين أيديكم، اعتكفت على كتابتها لساعات طوال في اليوم دون كلل ولا ملل، ولعلّ لتحرري من ضغط وصخب المدينة دور كبير في ذلك.

عزيزي(ت) القارئ(ة):

هذه المجموعة القصصية تضم عشرين قصة قصيرة، تتنوع موضوعاتها بين ما هو اجتماعي وما هو نفسي، باعتمادي على شخصيات مختلفة من حيث

التوجه والبيئة المكونة لها لكنها تلتقي في نقطة واحدة ألا وهي "التيه والاغتراب".

لن أعدك بأنك ستجد في مجموعتي القصصية هذه حلولاً للمشاكل والقضايا التي تطرقت لها لأنني اكتفيت فقط بتشخيصها، لكنني أستطيع أن أعدك بطرح جديد لها كما لم يسبق وأن تطرق لها أحد من قبل، بصدق وبرؤية واضحة.

" التشخيص أولى خطوات العلاج"

قراءة ممتعة.

الكاتب: محمد الودير

بتاريخ: 13/08/2020، أسفي

****

آلات متزلفة

دلف إلى الميناء بعينين جاحظتين، سار في خطوات ثابتة باتجاه مركب صيد رسا حديثاً، تطلع إلى طاقمه الذي تعدى عشرة أشخاص وجدهم مشغولين بتفريغ كل ما اصطادوه، ثم اقترب شيئاً فشيئاً وقال بصوت مبحوح:

-أتحتاجون من يساعدكم؟

نظروا إليه جميعاً دفعة واحدة وكأنهم شخص واحد، ثم تعالت ضحكاتهم للحظات، اقترب منه رئيسهم وقال بصوت جهوري:

- اللعنة، أنت من ينقصنا، انظر إلى هؤلاء الرجال الأشداء بالكاد يستطيعون حمل هذه الصناديق، بربك في ماذا ستساعدنا؟ لحظة لدي لك عمل، يمكنك أن تكون المهرج خاصتنا، كل ما عليك فعله هو أن تلقي بدعابات شبيهة بهذه التي قلتها قبل قليل.

عاود الرجال الضحك، وكان صوتهم أعلى هذه المرة.

تطلع إليهم الطفل بوجه مكفهر وقال:

- أنتم تتصنعون الضحك على نكتة سمجة ألقاها رئيسكم في العمل، يفترض أن تشعروا بالخزي والعار من أنفسكم، أقصركم يتجاوز 1،80 سنتمتراً وتطيعون رئيساً بالكاد يتجاوز في طوله 1،60، أنتم مجرد آلات متزلفة.

قست قسمات وجهوهم واسودت، عمدوا إلى القبض عليه لكنه انسدل بسرعة كبيرة وسط حشد كبير من الناس.

انزوى بركن فارغ وجلس القرفصاء، معدته تصدر أصوات غرغرة من فرط الجوع، راح يفكر في طريقة تعود عليه بأكل وفير، لكنه لم يجد ما يمكنه فعله خصوصاً مع قسوة العاملين بالميناء، فكر أن يتسول بضع قطع نقدية لكنه تراجع وقال في قرارة نفسه:

- يكفي ذلاً اليوم، لم أعد أطيق سماع إهانات الحمقى خصوصاً إذا كانوا أشبه بالآلات المتزلفة.

قام من مكانه ببطء شديد؛ فلم تعد رجلاه قادرتان على حمل جسده النحيف والواهن، اقترب من مكان مرسى السفن وسار يراقب الأفق مع اقتراب غروب الشمس، فجأة تراءى له قبطان سفينة يقضم شطيرة لحم كبيرة، ظل يراقبه بحذر شديد، بعد لحظات نادى عامل من مقصورة السفينة على القبطان، تطلع هذا الأخير إلى شطيرته يقلبها، ثم استقر على رميها على الإسفلت، دهش الطفل و سارع إلى حملها من على الأرض، خبأها تحت معطفه وكأنها تحفة ثمينة وعاد إلى مكانه الذي يأويه، جلس وأخرجها سار يتطلع إليها باشتهاء، أزال عنها قطع التراب البادية ثم أغمض عينيه

و انشغل بأكلها، أجهز عليها بسرعة كبيرة وقال:

- ليث الآلات المتزلفة يرمون الطعام كحال القبطان.

****

اللعنة!! زوجتي تتحول

رحت أفكر في نمط حياتي الحالي، وأرى كيف استطاع وحيدٌ وأعزب مثلي الاستمرار في الحياة التي لا تتوانى في إرسال ضربات مسترسلة لشخصه الواهن، وأنا غارق في تفكيري، سمعت هاتفي يرن، تفقدته بسرعة متمنياً لو كان المتصل فتاة، فقد أضحيت أتشبث ببصيص أمل يخرجني من وضعي ذاك و يجعلني في غنى عن القيام بمحاولات تواصل بئيسة مع العالم الخارجي تتمثل في مشاركتي ببرامج الراديو لأدلي بدلوي بعدة مواضيع، فقد اعتدت الاتصال بهم من زمن بعيد وهذا يحسن من مزاجي بشكل مستمر ويشعرني بأنني إنسان اجتماعي وذو قيمة، فإذا بي أجده صديقي المتزوج حديثاً، فتحت الخط و قلت ممازحاً:

- مرحباً صديقي، ظننتك قد انشغلت بزوجتك ونسيتني، كيف خطر لك ببالك أن تتصل بي؟ فالمتزوجون حديثاً ينسون العالم ويخلقون لأنفسهم عالماً مصغراً بعيداً عنا نحن العزاب البائسين، هنيئاً لك بدخولك للمحور، عكسنا نحن الذين نعيش على هامش الحياة.

- مرحباً، صحيح أنني أضحيت أعيش بمحور الحياة شأني شأن كل المتزوجين، لكن لا شيء يؤكد ويثبت أن الهامش أسوأ من المحور.

- بربك، أعلم أنك تقول هذا لمواساتي فقط، منذ متى كان العيش على هامش الحياة أهم من العيش على محورها.

- صدقني إذا ما قلت لك أن هذه القاعدة قد تنطبق على كل شيء إلا الزواج أو بالأحرى إلا على زواجي.

- ما الذي يجعلك تقول كل هذا؟ هل هنالك خطب بزواجك؟

- زوجتي تتحول!

- كيف يعقل أن تتحول؟ أهي مادة كيميائية؟ أم ماذا؟

لقد تحولت بعد الزواج مباشرة، قبل عقد القران كنت أرى فيها امرأة كاملة الأنوثة، تتصرف برقي، كان يتضح ذلك في كل شيء في طريقة أكلها وشربها ومشيتها، أتصدق أنها لم تكن تطأ الأرض بكامل رجلها؟ وكأنها تخشى أن تدوس على مخلوقات الله الصغيرة، أما الآن فقد اختلف الأمر تماماً.

- يستحيل أن يختلف الأمر بشكل كلي.

- لم أكن أؤمن بنسبية الوقائع والأمور بالمرة، لكنني الآن مقتنع بها وأعتبرها واقعاً.

- أي تغيير طرأ عليها؟

- أضحت تدوس على الأرض كبعيرٍ غاضبٍ، وتأكل كتائهٍ في صحراء جرداء لم يرَ الطعام لأيام.

- هذا متجاوز، يمكنك التأقلم مع كل هذا.

- صحيح يمكنني ذلك لكنني أشعر بالخذلان فقد أصبحت أفتقد نسختها الأولى، وهي النسخة التي أحببتها لأجلها، يمكن تجاوز كل هذا لكن هنالك أمر، يصعب عليّ التأقلم معه.

- عن أي أمر تتحدث؟

- في كل مرة أستفيق من النوم قبلها أفزع، لأنني أجد نفسي فجأة أمام جسم أشبه بجسم رجل بشعر متشعث إذا ما رأيتها سيخيل لك أنها قضت الليل بغابة بها وحوش و ليس بغرفة نوم.

استغربت كلامه وشعرت برغبة كبيرة في الضحك بصخب لكنني حاولت كتم صوت ضحكتي لكي لا أجعله يغضب أكثر فأكثر وقلت:

- و ماذا تنوي فعله؟

فأجاب:

- ليس لذي ما أفعله، فأنا مضطر لعيش حياتي تحت هذا الوضع، رغم أنه من الصعب ذلك، ليس من السهل عيش حياتك مع امرأة تحولت إلى كائن أشبه بالرجل.

ابتسمت و قلت:

- كان الله في عونك صديقي.

أغلقت الخط ورحت أفكر في كل ما دار بيني وبينه، أشفقت عليه وبشدة أكثر مما كنت أشفق على حالي، وقلت:

- إذا كنت سألقى مصيراً كمصير صديقي فمن الأحسن أن أتزوج مذياعي واقتنعت أن عذاب الوحدة أهون من العيش مع كائن أشبه بالرجل.

شغلت المذياع وبدون أن أدير زر تغيير الموجة، وجدته يبث برنامجاً للتعارف، وما إن عدت لصوابي حتى وجدت نفسي أتصل بهم ليتدبروا لي زوجة.

****

امتدادٌ

ركنت سيارتي بمرآب للسيارات، ولجت سوق بيع السمك وأنا أستحضر ذكريات طفولتي به، حين كنت انسدل بسرعة كبيرة وأنا أحمل بين كفيّ الصغيرتين أكياساً بلاستيكية بحثاً عن زبون محتمل، أراقب جميع الزبائن عن بعد و ما إن يستقر زبون على شراء سمك حتى أتقدم نحوه عارضاً عليه اقتناءكيس من أكياسي البلاستيكية، كنت وأمثالي الحلقة الأضعف بالسوق فبعد أن يدفع الزبون ثمن السمك الذي اقتناه حتى يهم بالسير مبتعدا متناسيا إياي، أضطر لإيقافه و تذكيره في كل مرة بثمن الكيس البلاستيكي الزهيد، أغلبهم ينسون الدفع لي و لأمثالي لأن تجارتنا ثانوية أو بالأحرى يحصرون انتباههم في جودة السمك ودفع ثمنه، أما أنا فتعني لي **20** سنتيماً كربحِ مالٍ محترمٍ، استحضرت كل هذا في لحظات مرت بذاكرتي كالبرق، تطلعت إلى الباعة، أغلبهم لم يكن لهم وجود حينها، لم يتبقَّ من تلك الفترة سوى سي مبارك وأخيه سي العربي، رغم أنهما تقدما في السن إلا أنهما ينالان احتراماً منقطع النظير من طرف بقية الباعة، دمعت

عيناي و أنا أحيا فترة بائسة من فترات حياتي غير أنها كانت تبدو لي وأنها فترة جد عادية آنذاك، لم يكن همي أكبر من بيع عشرة أكياس تعود عليّ بدراهم معدودات، اقتربت أكثر فأكثر وتوقفت على الرصيف الآخر في وضع مقابل للجميع، فجأة تراءى لي فتى في حوالي العاشرة من عمره، تطلعت إلى ملامح وجهه التي تشبه ملامحي وجهي في تلك الفترة، يا إلهي هو الآخر يرتدي سروالاً قصيراً رمادي اللون كالذي كنت أرتديه تماماً، تابعته بعيني، حتى في طريقة تحركه تشبه طريقتي تحركي تماماً، توقف بالقرب من سي العربي لكن هذا الأخير لم يتوانَ في نهره مطالباً إياه بالابتعاد تماماً، كما فعل معي عندما كنت في سنه، هالني الموقف لا يمكن أن يكون كل هذا من باب الصدفة، اغرورقت عينا الطفل بالدموع، وابتعد في خطوات متثاقلة، عبرت الشارع وتقدمت نحوه، مسحت عنه دموعه واقتنيت منه كل الأكياس خاصته بثمن مضاعف، تماماً كما فعل معي شخص آخر يومها، عدت إلى سيارتي وتفقدت عدد الأكياس وهنا كانت الصدمة، هي نفس عدد الأكياس التي اشتراها مني ذلك الشخص حينها.

****

عودة من سراديب الضياع

وضعَ قنينتيّ نبيذٍ رخيصٍ على الطاولة، سحب كرسياً خشبياً باتجاهها وجلس في وضع مقابل لباب الحانة البائسة، فتح قنينته بطريقة تنم على أنه اعتاد ذلك، وهمَّ بارتشاف بضع جرعات منها، تراءت له شابة تلج الحانة في العشرينيات من عمرها، نظر إليها نظرة يأس وقال في قرارة نفسه:

- لم يكن لي يوم موقفاً من مثل هؤلاء الشابات، لا أعلم إذا ما كان هذا قرارهن أم أنهن مجبورات على فعل ذلك؟ لا أظنهن مجبورات فالإنسان يمكنه إن يتدبر أمر قوت يومه بعيداً عن الحرام.

وبينما هو غارق بتخيلاته وتصوراته، تفاجأ بتوقفها عند طاولته، رمقها بنظرة فارغة، ابتسمت وقالت بصوتٍ رقيقٍ:

- هل هنالك مانع إذا ما شاركتك طاولتك؟

- إذا كنت ستكتفين بمشاركتي إياها فليس لدي مانع.

- سحبت هي الأخرى كرسي و جلست في وضع مقابل له، طلبت قنينة بيرا و عادت إلى رفيق طاولتها و أجابت:

- أنت تعلم أنني لست هنا لاحتساء النبيذ فقط.

لم يبدِ اهتماماً بما قالت، واكتفى بتحريك رأسه إيجاباً، ثم أردفت:

- نحن الاثنان لسنا مخيرين، أنت فرض عليك احتساء النبيذ لسبب من الأسباب وأنا فرض عليّ أن أعيش كخفاش لا يصطاد إلا ليلاً.

- أنا أحتسي النبيذ للهروب من العدم، لأستطيع الاستمرار بعالم من البلاهة أن لا تثمل فيه، يمكنك القول أنني أقتنصُ لحظات سعادة عابرة، وما دافعك أنت؟

- دافعي الوحيد والأوحد هو الفقر، ما بيدي حيلة هذا هو قدري.

- لم يكن الحرام يوماً قدراً، لأكون صريحاً معك، أشعر باليأس عندما أرى فتاة أو امرأة تشارك الرجال حياة التيه والاغتراب النفسي، كنت أتمنى أن يكون الليل للرجال فقط، دوركن أهم من دورنا نحن الرجال، ويفترض بكن أن تكن حبل نجاة للرجل، إنه لمن المؤسف أن نسقط كلنا بالفخ.

نظرت إليه نظرة مطولة و قالت:

- لربما معك حق، لكن ظروفي هي ما أجبرتني على كل هذا.

- ولماذا أغلب الرجال يتدبرون أمورهم المادية من عمل حلال، يمكنك أنت الأخرى فعل ذلك، لربما اعتدت الكسب السهل.

- قد تكسب مالاً حلالاً، لكنك تنفقه على احتساء نبيذ رخيص سيهلك بك لا محالة!

- أنا أشتري ثمن سعادتي المؤقتة فقط، هذا كل ما في الأمر.

- وأنا أبحث عن مالٍ أسدُ به رمقي وأتدبر به ضروریاتي.

- لا أحد فينا أسوأ من الآخر أو بالأحرى لا أحد فينا أحسن حالاً من الآخر.

تطلعت إليه و قالت:

صدقت، هذا أقرب إلى عين الصواب.

تطلعت إلى وجهها وفعل هو الآخر نفس الشيء، هام في تفاصيل وجهها كاملاً بنظرة إعجاب، صمتا لوهلة وقال:

- ما رأيك في أن نجابه كل هذا معاً ونخرج من هذا الفخ، تعالي معي ولنترك حياة الليل بآلامها ومخاطرها ومن نقطة الضياع فيها.

حركت يديها في ارتباكٍ واضح وقالت:

- وهل سنستطيع ذلك؟

- حتماً سنستطيع، سنساعد بعضنا البعض، أولا تريدين؟

- كيف لا أريد وأنا من افتقدت نفسي بعد دخولي مباشرة لعالم المومسات، أريد ذلك حقاً لكنني أخشى من الفشل.

- الشيء الوحيد الذي يتوجب عليك أن تخشيه هو الاستمرار على هذا الوضع.

- خذني ولنترك كل هذا وراءنا.

- تفضلي آنستي، فلم أعد أطيق قضاء ثانية أخرى بهذه الحانة.

- لطالما ظننت أن التغيير يبدأ بالدخول والإقدام على فعل شيء، لكن اليوم اتضح لي العكس قد يبدأ التغيير بالخروج والابتعاد.

****

اتفاق مبهم

سمع صوت طرق على الباب، قام من مكانه بخطوات غير واثقة، فتح فوجد نفسه وجهاً لوجه مع حارس العمارة، ألقى الحارس تحية تنم عن الود والاحترام، بادله رؤوف بأخرى أرق وأرفع منها، ثم بادر الحارس قائلاً:

- أعتذر إذا أزعجتك في هذا الوقت المتأخر سيدي، أريد أن أستفسر منك فقط.

- لا عليك، تفضل أسأل ما تريد.

- هل لديك ضيوف بالمنزل؟

- لا، لم يقدم أحد لزيارتي الليلة، لماذا؟ أهناك خطب ما؟

- لا أدري بماذا سأجيب سيدي، قد تظنني مجنوناً.

- لقد جعلتني أرتاب، فكلامك غامض، وضح ما الأمر؟

- سيدي أعلم أنك تنام باكراً ولا تبقى لوقت متأخر من الليل، أمعي حق؟

- بلى، لست من هواة السهر.

- قبل عشر دقائق تقريباً فتحت نافذة غرفة نومك، وسقط منها كأس زجاجي، أظن أن أحداً قد رمى به لأنه سقط على الجانب الآخر من الرصيف.

نظر رؤوف إلى الحارس بنظرة استغراب وذهول، وقال بصوت منخفض كمن يحدث نفسه:

- كيف يمكن أن يحدث هذا وليس في المنزل سواي.

قاطعه حارس العمارة قائلاً:

- رافقني إلى الأسفل لمعاينة الكأس المنكسرة بنفسك، قد يبدو لك الأمر غريباً لكن هذه هي الحقيقة.

تبعه رؤوف إلى حيت سقطت الكأس، عاين إلى شظايا الزجاج المتطاير في ذهول و استغراب تامين.

لم يستطع تفسير ما حدث وقرر العودة إلى شقته، أغلق الباب خلفه في توجس شديد، استلقى على ظهره وراح يضع فرضيات تبرر كل ما وقع، فكر في إمكانية وجود أشباح بشقته، وتساءل باستغراب:

- لكن ما هدفها من فعل شيء كهذا؟ لربما تريد تخويفي.

وقد يكون المشكل في رغم أن هذا يصعب تفسيره.

في صباح اليوم الموالي قرر رؤوف زيارة طبيب نفسي قصد استشارته في الواقعة لربما المشكل يكمن فيه.

ولج عيادة الطبيب، طرح عليه بضع أسئلة حول الواقعة وخرج باستنتاج واحد، هو أن رؤوف يعاني من اضطراب حاد في النوم يجعله يقوم بأمور معقدة دون وعي منه.

عاد رؤوف إلى شقته وأحكم إغلاق النوافذ بطريقة لا يمكن أن تفتح بسهولة، ثم نزل الدرج باحثاً عن الحارس، وجده مشغولاً بتنظيف ممر صغير، نادى عليه وقال:

- من المتوقع أن ترى مستقبلاً نور شقتي مضاءً في وقتٍ متأخرٍ من الليل، لا تكترث بعد الآن فقد عقدت اتفاقاً مع شبحي بأن لا يرمي الكؤوس من النوافذ مجدداً.

****

إيمان منبوذ

تقدم نحو الضريح بخطوات ثابتة، ولج من الباب الخلفي، ما إن لاحظه (الشريف) المسؤول عن الاعتناء بالضريح حتى تقدم نحوه مرحباً:

- مرحباً بضيوف سيدي عبد القادر، لقد أخبرني في منامي بقدومك.

- وكيف فعل ذلك؟ أو يتحدث شخص وافته المنية؟

ضحك الشريف ضحكة مصطنعة وأردف:

-أنا من أتباعه القدامى وفي كل ليلة يخبرني بقدوم شخص متميز عن البقية في اليوم الموالي، ألا تعلم أنّ هذا ولي من أولياء الله، يحج إليه الزوار من كل بقاع المغرب الحبيب للتبرك به وليسألوه الغنى والصحة والعافية؟

تردد الزائر للحظة و قال:

- أنا لا يهمني الضريح ولا يهمني حتى من يرقد به، هدفي من هذه الزيارة هو اكتشاف معمار الضريح من الداخل باعتباري باحث في التراث.

- لا يجوز قول ذلك في حق سيدي عبد القادر، لأنه سيغضب حتماً.

- لا أصدق هذا الهراء كله، الأفضل أن تبتعد عن طريقي.

- أنت فعلاً إنسانٌ عاصٍ وبعيداً كل البعد عن الله بكلامك هذا.

- وما علاقة انتقادي لهذه الخرافات والأساطير بعلاقتي مع الله سبحانه وتعالى؟

- هذا الولي عبد صالح لله، و في إغضابه معصية للخالق.

- أو يغضب شخص ميت؟

و في أثناء حوارها أثار الزائر موقف ذبح ذبيحة سوداء بمكان خلاء مما جعله يستفسر الشريف عن السبب الكامن وراء هذا الفعل.

ابتسم الشريف و قال:

- مثل هؤلاء مؤمنون لأبعد الحدود، فهم يذبحون ذبائح كقربان للولي الصالح آملين في أن يستجيب لهم ويحقق مبتغاهم.

ضحك الزائر ضحكة استهزاء وقال:

ما كل هذا التخلف؟ أو تذبح الذبائح لغير وجه الله؟

هنا تغيرت ملامح الشريف، فقد صارت قسمات وجهه لا تدعو للتفاؤل البتة وقال:

أخفض صوتك، فإني أخاف عليك من تبعات غضب سيدي الولي.

- الأصح أنك تخاف من أن يسمع الزوار ما يدور بيننا و يتيقنوا أن ما تدعيه باطل.

صمت الشريف لبرهة ثم تمتم ببضعة كلمات غير مفهومة، هم الزائر بالانصراف ليستوقفه صوت الشريف من بعيد:

- اترك صدقة للولي قبل أن تغادر.

استدار الزائر و قال:

- هذا هدفك إذاً!!! أن تغتني على حساب شخص ميت، إذا كنت فعلاً من أتباعه وجب عليك الزهد في الدنيا كما هو حال السلف الصالح.

هنا طار لب الشريف وقال بصوتٍ عالٍ:

- فلتنتظر لعنة الولي إذاً.

ابتسم الزائر بابتسامة باردة وقال:

إذا كان بإمكانه فعل كل ما ذكرت فالتطلب منه أن يغنيك عني وعن أمثالي، أو تظنه سيرفض لك طلباً وأنت من تعتني بمقام مثواه؟

بعد سماع الشريف لهذه الكلمات انفجر غاضباً وهو يصيح:

- اللعنة عليك... اللعنة عليك.

****

بالخيال انفجرت

كان التأمل هوايته المفضلة، فكثيراً ما كان يتخيل نفسه بوضعيات وأمكنة يتمنى أن يكون فيها، ما إن ينهي شغلاً مستعجلاً حتى يسرح بتفكيره في الأفق، كثيراً ما رأى نفسه يمسك بيد زوجته في حفل زفافهما أو بالأحرى يتخيل حفل زفافه بكل تفاصيله الكبيرة منها و الصغيرة، يضع نصب عينيه حبيبته وهي ترتدي زي العروس، أما بخصوصه هو فقد رتب بمخيلته جميع ترتيبات الزفاف وما يرافقها (تسريحة شعره، بذلة الزفاف الخاصة به، عدد المدعوين ....)، لم يقتصر خياله ومناه على هذا الأمر فقط بل تعداه إلى تخيل ورسم سيناريو للحظة اجتيازه لمقابلة العمل الذي يطمح إليه، يسرح بتفكيره بعيداً ليرى نفسه، ببذلة رسمية أنيقة لأنه يرى أن الانطباع الأول الذي سيأخذه عنه المشغل هو مفتاح النجاح في المقابلة، يرسم في خياله وضع الشركة التي سيجتاز فيها المقابلة، ها هو يدلف من الباب، ترحب به السكرتيرة وترافقه إلى قاعة الاجتماعات، يطرف الباب بلباقة ويلقي التحية بأدبٍ جمٍّ، يرى نفسه أنه قد أجاب على كل أسئلة

اللجنة، يظهر على ملامحهم شعوراً بالرضا والإعجاب، ها هم الآن يمدحونه ويمهدون إلى إخباره بأنه قد حصل على الوظيفة، يخبرونه، يشعر بالفخر والاعتزاز، ثم ما يلبث أن يستفيق من حلمه ذاك ليواجه واقعه المرير.

تلقى مكالمة هاتفية مفادها أنه سيجتاز مقابلة عمل في الغد، سعد كثيراً، كيف لا وهو من تطلع إلى هذا اليوم لسنوات لدرجة تخيل تفاصيله لعشرات المرات، وكأنه استعجل ذلك وما كان في وسعه إلا تخيل الأمر على أمل تحققه.

في اليوم الموالي تأنق كما لم يفعل من قبل، وصل إلى مقر الشركة وأول ما أثار انتباهه أنها ليست بقدر الجمال الذي كان يتخيله ويتطلع له، كانت شركة بسيطة في تصميمها، دلف من الباب، وجد نفسه أمام سكرتيرة بوجه عبوس مكفهر وكأنها لم تتلقَ راتبها لأشهر، استدارت نحوه وقالت:

- أأنت من سيجتاز المقابلة اليوم؟

أجاب بالتأكيد، ثم قالت:

حسناً اتبعني.

سار خلفها إلى قاعة المقابلة، فتحت له الباب وأغلقت خلفه.

وجد أربعة رجال وامرأة في انتظاره، ألقى التحية ثم ما لبث أن جلس في أريحية تامة.

تطلعوا له جميعهم باستغراب وكأن لسان حالهم يقول:

- من طلب منك الجلوس؟

لم يستسيغوا تصرفه وانهالوا عليه بالأسئلة تباعاً وبشكل مسترسل.

ارتبك للحظة وظل صامتاً، لأنه لم يكن يتوقع أن يسألوه أسئلة تتشعب في مجال تخصصه، ضعف كثيراً ولم يكن له ردة الفعل تلك التي كان يتخيلها، لم يجب سوى على سؤالين وهذا كان كفيلاً باستبعاده، وقف وقال:

- قال محمد شكري: لولا الخيال لانفجرت

أما أنا فأقول: بالخيال انفجرت.

لملم أغراضه وخرج في صمت قاتل.

عدالة مكان

استقبلني القائم على أمور النزل عند الباب، طلب مني الدخول لإلقاء نظرة على المكان لعلي أستكين له، دلفت وألقيت بنظري على كافة أرجاء النزل، وجدت نفسي أمام فناء فسيح، يحيط به مبنى من طابق واحد وهو عبارة عن عشر غرف مرقمة من واحد إلى عشرة، منهم ثمانٍ غرف شاغرة أما عن الغرفتين الأخريين؛ فيشغل واحدة منها موظف متقاعد في حوالي السبعين من عمره والأخرى تشغلها امرأة وابنتها، لم يكن الاختيار صعباً لكون كل الغرف مثماتلة، وما يفرق هو موقع كل واحدة، وقع اختياري على الغرفة رقم **8** لكونها تتموقع بوضع مقابل للباب الرئيسي، وضعت أغراضي بها ودفعت ثمن إيجار **10** أيام، وأنا بغرفتي أرتاح قدم إلي جاري في النزل، ألقى التحية ورحب بي ترحيباً حاراً، استنتجت بشكل تلقائي أنه قد أقام بالنزل لمدة ليست بالقصيرة، تعارفنا بشكل سطحي ومقتضب، ثم ودعني وغادر، بعد أخذ قسطاً كافياً من الراحة خرجت إلى فناء النزل لاكتشاف

المكان بشكل أكبر، ما إن رآني القائم على أمور النزل حتى قدم نحوي مهرولاً وقال:

- كل الأمور هنا على أحسن ما يرام، بهذه الغرفة يقطن الحاج الحسين، لا شك وأنك التقيته، فهو إنسان اجتماعي ويميل إلى إلقاء التحية والتحدث مع الكل.

قلت:

-صحيح، التقيته ووجدته إنساناً طيباً، من يقطن الغرفة الثانية؟ لم ألتقِ بنازليها لحد الآن.

- تلك الغرفة لا زالت مشغولة لكن من اكتروها يغِبنَ عن الأنظار لأيامٍ، لا أعرف أين يتوجهن بالضبط، لكنني على علم بأنهما يهيمان على وجوههما قصد التسول وما أن يعودا بالمال حتى يدفعا لي ثمن الإيجار.

وقفت مشدوها إلى غرفتهما المغلقة بقفل، وكلي حيرة، فلم أكن أتوقع أن يقطن شخص يحصل على تقاعدٍ محترمٍ جنباً إلى جنب مع امرأة وابنتها يعيشون على تسول صدقات بالكاد تكفيهما لسد رمقهما، ولهما كامل

الحقوق بالنزل كما لجارهما المتقاعد (نفس حجم الغرفة، نفس الأثاث وأواني الطهي ....)، بقدر دهشتي سعدت، لأنني وجدت مكاناً على وجه الأرض يتساوى فيه شخص من الطبقة المتوسطة مع آخرين من الطبقة الفقيرة، ولعلي لحدود الساعة أجهل ما إذا كان هذا النزل مخصصاً للفقراء أم لأصحاب الدخل المتوسط.

****

أنا من مات

حدثت بيننا مشاكل جمة لا تعد ولا تحصى، لم نكن قادرين معها على الاستمرار في علاقة حب دامت لأربع سنوات، مشاكل في الغالب مصدرها اختلافنا في رؤية الأمور، فكل واحد منا يرى الأمور من زاويته ومن منطلقه، يطول بيننا خلاف الاختلاف لساعات وساعات وغالباً ما ينتهي بأن يشتم أحدنا الآخر، في كل مرة كنا نتخاصم يأتي أحدنا معتذراً للآخر لتعود الحياة كما كانت من قبل على أمل أن لا يحدث ذلك مجدداً، لكن سرعان ما تنفلت الأمور من بين أيدينا لتطفوا إلى السطح معضلة الاختلاف، تمسكنا ببعضنا البعض لسنوات متنازلين في ذلك عن كبريائنا، كانت تقول لي:

- نحن شخص واحد، لذلك لا يهم الكبرياء، فلنحتفظ به لعلاقاتنا الخارجية، أما نحن فكبرياؤنا واحد.

كنا قادرين على الاستمرار تحت كل هذا الضغط، لكن مع دخولنا في الحسابات الضيقة ازداد الوضع تأججاً، أصبحنا نكابر في الاعتذار وأصبح كل طرف منا يرى أن الآخر هو من يتوجب عليه أن يعتذر.

- لقد اعتذرت في المرة الماضية، أوَ تظنني إلهٰ الاعتذار لأظل أعتذر لك كلما وقعت بيننا مشاداة كلامية؟ هكذا قالت.

اتفقنا على أن ننهي علاقتنا ورحلت في حال سبيلها.

بعد الفراق مباشرة حاولت إيهام نفسي بأنها قد ماتت، حذفت كل شيء يتعلق بها من حياتي، حتى هداياها التي أهدتها لي تخلصت منها، نسيت أمرها تماماً، لم يخطر ببالي أنني قد أتلقى رسالة أو مكالمة منها وأقول في نفسي:

أوَ يجري الميت اتصالات؟

وأنا أمشي بشارع لامبادوريا، وقع نظري عليها قادمة باتجاهي، تأملت وجهها المنحوت بدقة متناهية أردت أن أخبرها بأنني افتقدها، نظرت بعينّي لكنها لم يستقر نظرها عليّ أبداً، بدا لي وكأنها تنظر لشيء خلفي من خلالي،

وكأنني مجرد مادة عضوية شفافة، صعقت من هول المشهد، توقفت في وضع مقابلٍ لي وجهاً لوجه، لكنها لم تنتبه لي مطلقا، لوحت بيدها لشخص خلفي لكن يدها اخترقت رأسي، توجه نحوها ذلك الشخص، توقف بوضع مقابل لها بحيث امتزج جسمه بجسمي حيته وقالت:

- أتمنى أنني لم أجعلك تنتظر كثيراً يا زوجي العزيز.

****

تمرد

جلس إلى مكتبه، أخرجَ ورقة وقلمَ حبرٍ جافٍ، محاولاً صياغة بضع جمل تشكل تمهيداً لقصته، وجد نفسه عاجزاً على حبك خيوط قصة واحدة، وضع يده اليسرى على رأسه بينما ظل يمسك قلمه بيده اليمنى، فكر في أن يكتب للحب، لكنه تراجع فوراً، من سيقرأ للحب سوى إذا ما كان القارئ مراهقاً متيماً، وقع اختياره على موضوع الذات وهمومها هذا سيكون أهون وأيسر عليه من أي موضوع آخر، لكونه طالب بشعبة علم النفس، فهو يعلم خباياها وكيف تعمل، سطر بضع جمل كتقديم لأحداث القصة المحورية، استقر على أن يجعل من ثلاث شخصيات رئيسية وواحدة ثانوية قوى فاعلة في قصته، ها هو الآن مقبل على دخول مرحلة العقدة، اختار بعض الأحداث الدرامية لتشكل مرتعاً خصباً للصراع والتجاذب، بيد أن شخصيات قصته قد ثارت في وجهه ولم تأبَ سوى كتابة أحداث مختلفة، معللة موقفها بأن لها كل الحق في أن تعيش ضمن أحداث مبهجة وأنه ليس له الحق في تطويعها كما يحلو له، سحبوا منه بساط السرد عند منتصف

مرحلة العقدة، لكنه رأى أنه من الضروري وحفاظاً لكبريائه أن يحكم لجام الحكي ويرجع الأمور لنصابها أو بالأحرى لما أراد لها أن تسير عليه، طال الخلاف بينهما كل يسعى إلى أن تسير الأوضاع وفق هواه، استطاع أن يقنع ثلاث شخصيات بالامتثال، لكنه استعصى عليه إقناع الشخصية الرئيسة (البطل) وهو شاب يرقد بمستشفى للأمراض النفسية، أنهى مرحلة العقدة بالكاد، وعزم على كتابة حل لقصته هذه، لم يلقَ مقاومة كبيرة في هذه المرحلة ولم تستغرق منه سوى عشرين دقيقة على أكثر تقدير، وأخيراً استطاع إنهاء عمله القصصي الأول، ارتأى أن يقرأه من موضع الناقد وبحياد كبير، وجد أن نصه به مجموعة من التناقضات، بحيث لم يكن منسجماً تماماً، وضع قلمه على سطح المكتب وقام من مكانه بعد أن لعنَ شخصيات قصته وأقسم على أن لا يكتب مجدداً.

****

وسواس قهري

لطالما آمن بأنه لن يعيش طويلاً، راوده هذا الشعور مذ كان في العاشرة من عمره، كان يوقن بأنه لن يكتب له أن يعيش حتى سن المراهقة، لم يتطلع لبلوغ هذه المرحلة ولم يستطع تخيل نفسه وهو يرتاد الملاهي أو يدخن سيجارة كحال أغلب المراهقين، وكأنه ينتمي لفصيلة مختلفة تماماً من البشر، فصيلة كتب لها أن لا تتعدى مرحلة الطفولة وأن يختم المنتسب لها حياته وهو يتمسك بلعبته المفضلة، كثيراً ما حضر أحاديث ونقاشات تدور حول تطلعات الأشخاص إلى المستقبل وكيف يريدون له أن يكون، غير أنه لم يستطع يوماً مشاركتهم للحديث، كان هذا يقلقه ويشعره بالعجز، أراد أن يكون له هو الآخر وجهة نظره في الموضوع وأن يلقي ولو بعبارة واحدة كإثبات للذات.

تجاوز مرحلة الطفولة بسلام ولم يتحقق ما كان يخشاه، دخل مرحلة الشباب غير أن هلوساته بخصوص الموت العاجل ظلت تطارده، أصبحت أكبر هواجسه في هذه المرحلة أن لا يتزوج قبل أن يسرقه الموت، أراد أن

يترك لنفسه خليفة على الأرض، هكذا سيكون لطعم الموت مذاقاً أقل مراراً بالنسبة إليه، استطاع الزواج والإنجاب، كبر أبناؤه شيئاً فشيئاً، واستطاع الوصول إلى عدة أشياء كان يظن أن الموت لن يمهله وقت كافي لتحقيقها، لكن هلوساته ظلت ترافقه وتزداد عنفاً كلما تقدم في السن.

ها هو الآن يحتضر وقد وصل إلى حوالي التسعين من عمره، تجمعَ حوله كل أفراد عائلته بمن فيهم زوجته وأبناؤه وأحفاده، تطلع إليهم بوجه شاحب منهك، وقال:

- لا تحزنوا إن مت، فإني مت وأنا ابن العاشرة.

****

أعقاب حياة

- اتخذ من ركن بمحطة للباص مسكناً ومستقراً له لعلها تقيه تقلبات المناخ ليلاً، بجانبه كومة ملابس بالية تنبعث منها رائحة البول إضافة إلى بطانيتين مهترئتين تشكلان لحافاً له، يداه ترتعشان بشدة، في حوالي الخمسين من عمره، طويل القامة نسبياً، نحيفاً، كل لباسه سروال، ثوب رمادي اللون ومعطف طويل بالٍ، أكل عليه الدهر وشرب، يعيش في شبه وحدة تامة رفيقه وأنيسه بضع دجاجات اعتدن على أكل فتات طعام ينساب من فمه ومن بين أصابعه فقد دأبوا بشكل تلقائي على أن يتسامروا أمامه وهو يأكل لالتقاط ما يسقط منه، دهشت يوماً لسماعه يغني كانت تلك أول مرة أتبين فيها صوته كان يغني أغنية أمازيغية جميلة بإيقاع واحد وكأنها قصيدة شعرية وضع لها لحن رتيب يتكرر باستمرار لا تحتاج لأن تكون دارساً للموسيقى لتجزم بأنه لحن حزين، لا يأبه بمن حوله... يرمق العابرين بنظرة مطولة لكن سرعان ما يعود لعالمه، نظراته لا تستقر على شيء ولا يغريها منظر فتاة جميلة بلباس فاضح ولا منظر اثنين

يتشاجران، ينظر حوله باستمرار يخط بالأرض خطوط وهمية... يتنازل عن ذلك... يتبين ما جمعه سلفا من أعقاب السجائر الشقراء المرمية ليستقر على أجودها قصد تدخينها، بجوار مكان مقامه توجد مقهى ومطعم صغير يقدم وجبات خفيفة للطلاب الجامعيين، كان كلما اشتد به الجوع وقف أمام المطعم بدون أن يتفوه بكلمة، لا يدوم الأمر طويلاً حتى تأتيه زوجة صاحب محل الوجبات الخفيفة بأكل يسد به رمقه، يجهز عليه بسرعة كبيرة ويعيد الآنية لها في صمت قاتل لربما لا يجيد التحدث بالعربية أو أن العته الذي أصابة قد أعفاه من تقديم عبارات شكر وامتنان حقيقية كانت أم مصطنعة، ذات يوم مر بجواره رجل ألقى عليه التحية بلغة أمازيغية جميلة ثم أردفها بضع جمل أخرى، آنذاك رأيت في عيني الرجل لمعاناً فسرعان ما استجاب لحديث الرجل أكثر من استجابته لحديت الآخرين ممن استفزهم سكوته الدائم لربما خلق بينهم ود من نوع خاص، لم يدم حديثهم ذاك سوى بضع دقائق لكنها كانت كافية لجعله يبتسم، سرعان ما يعود لشروده القاتل، لعله يتذكر حياته في الماضي و يحن إليها أو لربما يتذكر أفراد عائلته و يتمنى العودة لحضنهم، سار على نفس المنوال لأسابيع عديدة، وذات يوم استفاق صباحاً على حين غرة والابتسامة تعلو محياه

توجه نحو صاحب المطعم توقف بعيداً عنه وسار ينظر له، انتبه إليه صاحب المحل وابتسم وعمد إلى تجهيز فطور له كالمعتاد لكنه قاطعه بصوتٍ فيه شيء من السعادة وبلهجةٍ محليةٍ ركيكةٍ وعينين تلمعان:

- عبد الرحيم لقد رأيت أمي المتوفية في المنام، وقد حضنتني بين ذراعيها، أتصدق.

عاود عبد الرحيم الابتسام وقال:

- متى كانت آخر مرة رأيتها؟

- لا أتذكر، كان ذلك مند أمد بعيد، أو تعلم لقد قالت لي يجب أن تلحق بي؟ فهنا الوضع مغاير تماماً، لن يرموك بالحجارة ولن تضطر لجمع أعقاب السجائر ولن تعود حتماً بحاجة إلى رأفة مخلوق، أريد الذهاب، أريد أن أكون بجانب والدتي، والدتي لن تكذب عليّ صحيح؟

لم يعر عبد الرحيم بالاً لما قاله كما اعتبر الأمر نتاج جنونه، فعاقل لن يتفوه بمثل هكذا أحاديث، قال:

- هي لا تكذب حتماً، لكن عليك أن تنسى مسألة اللحاق بها، لأنني أحبك وأريد أن تبقى قريباً مني، أو لست أرعاك؟ اذهب واجلس سأعدُ لك فطورك حالاً.

- لست بحاجة له الآن، سأعود للنوم لأعاود رأيتها بمنامي.

- لن أجبرك على شيء فلتفعل ما يروق لك.

سار في خطوات متثاقلة باتجاه مكان مقامه، استلقى على لحافه وغط في نوم عميق، بعد ساعات معدودة هرول نحوه عبد الرحيم ليتفقده فليس من عادته أن ينام حتى وقت متأخر، ناداه باسمه عدة مرات لكنه لم يستجب، حرك إحدى ذراعيه فوجدها شديدة البرودة، حينها أيقن أنه قد مات، توجه ببصره نحو السماء وقال:

- أنت الآن سويٌّ عند الله ونحن المجانين.

****

الغرفة رقم 26

توقف بسيارته عند مدخل المستشفى، وجد في انتظاره المدير وبعض الأطر الطبية، استقبلوه بحفاوة منقطعة النظير ثم بادر المدير قائلاً:

- سيدي المفتش تفضل معي لنذهب إلى مكتبي لعلك أنهكك السفر وتريد أن ترتاح قبل أن تتفقد حال المستشفى.

رد المفتش بنبرة صوت تحمل في طياتها شيئاً من الهدوء والارتياح:

- حبذا لو قمنا بتفقد مرافق المستشفى حالاً وبعدها يمكننا الجلوس ومناقشة أوضاعه.

- فليكن لك ما تريد سيدي، فلتتبعني إذا سمحت.

ساروا باتجاه الطابق الأول والذي يحتوي على **20** غرفة منفصلة ومتقابلة، بين كل واحدة والأخرى ممر ضيق يقود إلى الدرج، الغرف مرقمة بالترتيب من **1** إلى **20** إضاءتهم خافتة ولكل واحدة منها باب معدني من الفولاذ

المسلح تتوسطهم نافدة مربعة الشكل، بها قضبان حديدية وبأحد أطرافها صفيحة معدنية تمرر يميناً لتحجب الرؤية عن المرضى النفسيين، لم يكن لمدير السجن رغبة في وضع هذه الصفائح المعدنية لكن مراقبة المرضى للممر ولبعضهم البعض يؤجج الوضع ويجعلهم يفقدون أعصابهم منهم من ينادي بالحرية ومنهم من اتضح عدوانيته اتجاه باقي المرضى، ألزم المفتش مدير المشفى بأن يزيح الصفيحة المعدنية في كل مرة يقفون فيها عند باب غرفة من الغرف، توجس المدير في بادئ الأمر واعترض لكنه امتثل في الأخير إلى إلحاح المفتش فما يهمه أكثر حسب قوله وضع المرضى الصحي، تجاوزا الطابق الأول وعمدوا إلى صعود الدرج لإتمام مهمتهم البائسة والمملة والتي لا تختلف في كل مرة يقفون فيها أمام إحدى الغرف، ساروا في اتجاه الغرفة رقم **26**، توقف المدير قبل الوصول إليها، ظهر عليه بعض الارتباك والحيرة، جبينه يتعرق بشدة، لاحظ المفتش التغيير الذي طرأ عليه و توقف ليخاطبه:

- أرى أنك لست على ما يرام، ما الأمر؟ لماذا توقفت فجأة؟

- لا أعرف ماذا أقول سيدي، لكن من واجبي أن أحذرك، هذه الغرفة تحمل سراً خطيراً بين جدرانها، ولا أحد من العاملين هنا يستطيع الاقتراب منها.

- أوضح كلامك بلا لف ولا دوران، أتقصد الصراخ الذي يصدر منها؟ هذا شيء عادي وأنت كطبيب نفسي تعلم هذا جيداً، ما الغريب في أن يصرخ المريض؟ فقد تعودنا على هذا.

- ليت كان الوضع هكذا، بل إنه أخطر وأشد.

- لقد نفد صبري، تحدث.

- هذه الغرفة فارغة منذ 3 سنوات، لا يوجد بها أي نزيل يمكن أن يصدر عنه هذا الصراخ المدوي.

- أتقصد أن هذا الصراخ مصدره العدم؟

- لا يا سيدي، كل ما في الأمر أن هذه الغرفة كانت لنزيلة مصابة بانفصام في الشخصية وهي آخر من قطنها، منذ دلك الحين وهي مغلقة.

- و أين هي الآن؟

- وجدناها ميتة، صبيحة يوم أحد.

- كيف كان تصرفها قبل موتها؟

- قبل موتها بأسبوع كانت لا تتوقف على الصراخ بالمرة وحين يغلبها التعب تجلس لتنتحب والأدهى من هذا أنها كانت تتصرف بطريقة غريبة فقد كانت تكتب أسماء لأشخاص على الجدران بدم حيضها.

نظر المفتش إلى الأرض للحظات في ذهول تام جراء ما سمع، ثم قال:

- أزح الصفيحة المعدنية لأتأكد بنفسي.

امتثل المدير للأمر بعد تردد نسبي، أزاح الصفيحة ثم قال:

-انتبه جيداً لنفسك سيدي ولا تلقي بنظرك عن قرب.

تطلع المدير إلى كافة أرجاء الغرفة، شد انتباهه تلك الكتابات التي ذكرها المدير، لم يستطع تبين ما كُتب فطلب من المدير فتح باب الغرفة للاقتراب أكثر.

فتح المدير الغرفة بروية، دلف المفتش إلى الداخل في تردد وارتباك، اقترب من الكتابة (أمي، رمزي شيطان في جلباب آدمي، ابني الغالي)، هذا ما كتب، تراجع المفتش بعض خطوات للوراء في شرود وذهول تامين، محاولاً تفسيراً هذه الرموز، فجأة أضاءت المصابيح، تطلعا إليها ثم أخفض المفتش رأسه وقال:

-كما توقعت، لا زالت روحها تسكن المكان، إنها محتجزة وتتعذب لسبب من الأسباب، لا شك وأنها تود الرحيل، لكنها لا تستطيع، علينا فك رموز هذا السر الكبير.

- و ماذا يتوجب علينا فعله.

- ألا زلت تحتفظ برقم هاتف والدتها؟

- نعم لا زال ضمن ملف المريضة، أمل أنها لا زالت على قيد الحياة، تفضل إلى مكتبي لنجري الاتصال.

توجهوا إلى المكتب، حمل المدير السماعة وركب الرقم، بعد لحظات قليلة أجابه صوت امرأة عجوز واهنة.

- مرحباً من معي؟

- مرحباً سيدتي مريم، أنا مدير المستشفى الذي كانت ترقده به ابنتك رحمها الله.

-أهلاً وسهلاً، سررت باتصالك سيدي، لطالما حكت لي ابنتي قبل عن حسن تعاملك معها، والله لأنني أحبك.

- شكراً سيدتي، ذلك من واجبي، اتصلت بك لأرى إذا ما أمكن أن تأتي إلى المستشفى اليوم فهناك ضيف في انتظارك ويريد أن يقابلك.

- بالطبع يمكنني الحضور، سأكون هنالك بعد ساعة على الأرجح ولا أخفيك أنني متشوقة لمعرفة من هو.

قطع المدير الخط وانشغل بمناقشة بعض المواضيع مع المفتش وبعد ساعة، سمعوا طرقاً على الباب وبفتحه وجد أمامه السيدة مريم وقد نال منها الزمن والتعب، استقبلها بتحية سريعة وطلب منها الدخول، تطلعت إلى وجه المفتش وأمعنت النظر فيه، جلست في وضع مقابل له، ثم بادر المدير قائلاً:

- هذا مفتش عن قطاع الصحة، جاء في زيارة تفقدية للمستشفى ولا أخفيك أنه استغرب ما صدر من غرفة ابنتك، كنت قد أخبرتك بوضع الغرفة وما يصدر منها سابقاً، آتدكرين؟

- نعم أتذكر كل ما سبق وحكيته لي ولا أخفيك أنني لست مرتاحة بسبب هذا الموضوع ولا زلت لحد الآن أبحث عن تفسير منطقي لما يحدث.

هنا قاطعهم المفتش سائلاً:

- سيدتي هل كانت تعاني ابنتك من مشاكل خارجية أو عائلية أثناء نزولها هنا بالمستشفى؟

- نعم، بعد دخولها المستشفى، رفع طليقها قضية حضانة ضدي، بحكم أنني أنا من كنت أرعى ابنها وقد استغل وضعها الصحي في ذلك، لم تستوعب ذلك وفي كل مرة كنت أزورها هنا كانت تلح علي وتترجاني لأعمل كل ما في وسعي وأستعيد الحضانة، طلبت استئناف الحكم من المحكمة واستطعت استرجاع الحضانة بتوكيل محامٍ له وزنه، لكن القدر شاء أن تموت قبل أن تشهد استرجاعي لحضانة ابنها.

دمعت عينا المفتش وقال:

يؤسفني سماع ذلك، وهل الطفل الآن تحت وصايتك؟

- نعم، وقد تركته الآن بالسيارة عند مدخل المستشفى.

- سأكون صريحاً معك سيدتي، لا زالت روح ابنتك محتجزة بالغرفة وتتألم لسبب من الأسباب وأظنه السبب الذي ذكرته حالاً، أريد منك أن تساعدينا.

- أنا عند طلبك، وأنا أكثر شخص يهمه أمر خلاصها.

- جيد، أحضري الولد إلى هنا، لكن قبل ذلك ضعي عصابة على عينيه، لا نريد له أن يتأذى ولتلحقوا بنا لغرفتها.

- حسنا، سأحضره حالاً.

بعد بضع دقائق، قدمت إليهم برفقة طفل في حوالي السادسة من عمره، فتح المدير باب الغرفة، أخد بيد الطفل وتقدموا لداخلها توقفوا بالمنتصف وطلب من السيدة والمدير أن يلحقوا بهما، توقفوا جميعاً في صمت مطبق، في وضع مقابل للكتابة وفجأة شع نور قوي من الكتابة أجبرهم على إغلاق

عيونهم وبعد توقف النور فتحوا أعينهم ليجدوا أن العبارات التي كانت على الحائط قد اختفت وحل بدلها عبارة أخرى:

- الآن يمكنني الرحيل.

****

وحدة مغشوشة

تكدست غرفته بأكياس الوحدة والاغتراب فخطر بباله أن يبيع بعضاً منها، وضع إعلان بجريدة مرموقة وكان عنوانه كالآتي " رجل يريد أن يبيع وحدة غير مستعملة" ووضعوا أسفل الإعلان معلومات البائع الشخصية بما فيهم رقمه، طال الانتظار ولم يتلقَ اتصالاً، ليتفاجأ بعد أسبوع من وضع الإعلان بمكالمة هاتفية من رجل ميسور الحال يخبره فيها بأنه يريد اقتناء وحدة شريطة أن تكون ذات جودة ممتازة، اتفقوا على ثمن البيع وحددوا زماناً ومكاناً لتتم فيهما الصفقة، تقابلا وسارت الأمور في منحى جيد، سعد بكسبه الثمين وعاد إلى منزله مبتهجاً مسروراً وراح يفكر في بيع وحدة أخرى.

بعد عملية البيع بيومين، توصل البائع باستدعاء من الشرطة لأنه قد تم وضع شكاية ضده، لم يخبره العون القضائي بحيثيات الشكاية وأصر على قدومه إلى مركز الشرطة بشكل مستعجل وإلا ستضاف له تهمة أخرى ثابتة هذه المرة تتمثل في عدم الامتثال، لم يستطع النوم ليلتها ظل يفكر

ويفكر في هوية من وضع الشكاية ضده، وضع جميع الاحتمالات والفرضيات وتخيل أبشع السيناريوهات، غير أنه لم يقتنع بأي منها، وقال لنفسه:

- ليس لدي أعداء ولا حتى اختلاط بالآخر، الكل هنا يعرفونني بميلي للوحدة والعزلة، من عساه يكون قد وضع الشكاية؟

استفاق في اليوم الموالي باكراً وعزم على التوجه إلى مركز الشرطة، دلف من الباب الرئيس وسار باتجاه أقرب مكتب للاستفسار، أحالوه إلى مكتب الضابط أحمد، طرق الباب بتحفظ كبير ثم ولج إلى الداخل، تطلع إليه الضابط واستفسره عن سبب قدومه، أخرج الاستدعاء من جيبه ثم مده إليه، تطلع إليه الضابط للحظات ثم قال:

- أنت بائع الوحدة المغشوشة إذاً! انتظر بالخارج ريثما يحضر من ابتاعها منك لنبث في هذه القضية.

انتظر نحو ساعة من الزمن وهو يتطلع بعينيه الحاذقتين نحو الباب، فجأة تراءى له المشتري قادم باتجاهه بملامح لا تبعث عن الرضا، وبعينين ذابلتين، تفاجأ بالتغيير الذي طرأ عليه في مدة يومين، فقد نقص وزنه

بشكل ملحوظ جداً، استقبلهم الضابط هما الاثنان وأمرهما بالجلوس، تطلع إلى المشتري وقال له:

- احكي لي طبيعة المشكل؟ و لماذا قدمت شكوى ضد البائع؟

- اتفقنا سيدي سلفاً على أن يبيعني وحدة لأنني قد تعبت من ضغوطات الحياة الكثيرة وكما ترى يا سيدي فعمري لم يعد يسعفني على دخول نقاشات مطولة سواء في العمل أو مع الأقارب حتى أصدقائي لم يعد يستهويني حديثهم ولم أعد قادراً على مجاراتهم لذلك ارتأيت أن أقتني وحدة لكن هذا السيد الماثل أمامك قد باعني حزناً عوض وحدة، انظر إلى حالي، لقد ضقت ذرعاً بهذا الحال.

قال الضابط:

- أو لم تتفقد طبيعة ما يحتويه الكيس؟

- لأكون صادقاً معك سيدي، ليس لذي علم بماهية وشكل الوحدة، لذلك لم يكن لي بُداً سوى تصديق البائع.

صوب الضابط نظره باتجاه البائع و قال:

- أصحيح أنك بعته حزناً عوض وحدة؟

تردد البائع للحظة وقال:

- كل كلامه باطل سيدي، لقد بعته وحدة وحرصت على اختيار أجود ما أملك لأبيعه إياها.

- إذ كان كلامك صحيحاً، فهلا شرحت لي التغيير الذي طرأ على المشتري.

- الأمر سهل سيدي، الوحدة تساوي الاغتراب النفسي و هذا الأخير يؤثر بشكل مباشر على جسم الإنسان.

- وما ردك على ادعائه بأنك بعته حزنا عوض وحدة؟

- كيف أيقن أنني لم أبعه وحدة وهو لا يعرف حتى شكلها وماهيتها، فكيف له إذاً أن يعرف يا سيدي مفعولها وتأثيرها على نفسيته وجسمه؟

وقع الضابط في حيرة من أمره وبدا له كلام وحجج البائع أكثر منطقية، دون المحضر وقرر إحالة قضيتهم إلى المحكمة.

وقف الجميع في لحظة النطق بالحكم، مرر القاضي بصره بسرعة على جميع الحاضرين و قال:

قررت المحكمة الحكم بالبراءة على السيد البائع وليحتفظ المشتري بوحدته.

****

لم يكن حلماً

أطلق صرخة هزت أركان العمارة، جبينه يتعرق بشدة وعلامات الذهول نالت ما ناله الدهر من محياه، هرع إليه بعض الجيران، يطرقون باب شقته الخشبي فصدى صوته كان كفيلاً بأن يجعلهم يقفزون من أسرتهم ذعراً، قام في خطوات متثاقلة ليفتح الباب، رجلاه لم تعد تسعفانه على حمل جسده من هول ما رأى، فتح الباب و ألقى بنظره عليهم جميعاً الواحد تلو الآخر، تقدم نحوه جاره وصديقه أسامة ليستفسر عن سبب الصراخ المدوي الذي صدر من شقته، طمأنهم بأنه بخير، وأن سبب الصراخ كان مجرد كابوس كاد أن يحبس أنفاسه، اطمأن الجيران وهموا بالانصراف مودعين إياه بما فيهم صديقه المقرب، توجه كل منهم باتجاه شقته، استوقف صديقه أسامة وطلب منه أن يتفضل بالدخول ليقص عليه ما رآه بمنامه، وافق صديقه على مضض رغم تأخر الوقت، دلفا إلى المنزل و أغلق الباب خلفه، حضر كأسي شاي و جلسا بغرفة الضيوف.

بادر أسامة بالحديث قائلاً:

- أرى أن الأمر أكبر من مجرد كابوس، لو كان غير هذا لما دعوتني للبقاء، أخبرني الحقيقة صديقي.

- لا يتعدى الأمر إلى كونه أكثر من كابوس، لكنه كان أشبه بالحقيقة وكأنني أعاينه واقعاً وليس حلماً.

- أخبرني، ماذا رأيت بمنامك؟

- رأيت نفسي، ألف أنشوطة حول عنقي، وأتدلى من على كرسي خشبي.

- يا إلهي، وهل رأيت جسمك كاملاً؟

- نعم رأيته و هذا ما حيرني، في العادة لا نرى أجسامنا في وضع مقابل لنا، بل نتصرف كما نتصرف و نحن بالواقع.

- صحيح، لا يمكن أن تنفصل على جسدك و تقف لتراقبه يتدلى من على كرسي خشبي و الأنشوطة حول عنقه.

- هذا أقرب إلى الجنون.

- لا تقلق، كان مجرد كابوس وانتهى، اقترح عليك أن تزور طبيباً نفسياً لربما تعاني من اضطرابات في النوم.

- أذلك ما تتوقعه؟

- هذا هو أقرب تفسير منطقي لما حدث.

رن هاتفه، تفقده فإذا به أخته الكبيرة تتصل، فتح الخط وهنا كانت الصدمة، ما إن ألقى التحية حتى تلقى خبراً هزّ كيانه:

- أخوك التوءم قد انتحر.

****

هده ليست حياتي

جلسا إلى مقعد خشبي بقرب بعضهما البعض، تمحص وجهها للحظات كمن يكتشف شيئاً جديداً لأول وهلة، انتبهت إلى طريقة تحديقه الغريبة فيها وقالت:

- ما بك تحدق بي بكل هذا الاهتمام؟ أولم أرُقك؟

- لا، ليس هذا ما أتطلع إليه.

- ولماذا تطلع إذاً؟ أرى أنك كنت في تمام تركيزك وأنت تطلع لمحياي، وكأنك حسبت كل مسامٍ من مسامات وجهي!

- قلت لك أنني لا أتطلع بتاتاً إلى شكلك الخارجي، بل أحاول أن أفهم دواخلك من خلال شكل جسمك.

- أأنت على ما يرام؟ أراك تهدي!

- نعم، كل شيء على ما يرام، كل ما أرمي لقوله هو أنني لا أعيش حياتي بل أعيش حياة شخص آخر، وأظنك أنت كذلك.

- توقف عن التفوه بمثل هكذا سخافات، كل منا يعيش حياته التي اختارها، و كل منا مسؤول على مسارها، تطلعاتها و ما هي عليه الآن.

- لا أظن ذلك.

- إذا كان الأمر غير ذلك، فلتسهب في الحكي وتشرح لي وجهة نظرك بالتدقيق.

- حسناً، لطالما كرهت طبيعة عملي، فأنا لم يكن لي ميل إلى أن أعمل كموظف حكومي وأن أبقى حبيس أربعة جدران لساعات وساعات، بل كان لي تطلع إلى أن أصير تاجراً، أو ليس هذا أكبر دليل على أنني لا أعيش حياتي بل حياة شخص أخر كان يتمنى لو كان مكاني؟

- لكنك أنت من سعيت إلى هذا العمل، كان بإمكانك التخلي عنه والسعي وراء امتهان ما ترتاح فيه.

- لم أكن مخيراً بل فرض عليّ قبول هذه الوظيفة، والداي أجبروني على ذلك ولم يكن لي غير أن أوافق.

ضحكت ضحكة استهزاء و قالت:

- و من تظن أنه قد سرق حياتك؟

- لا أقول أنه قد سرق حياتي، لربما هو الآخر قد فرض عليه أن يترك مقاعد الدراسة و يصير تاجراً، من يدري لربما كان يحلم بأن يصير موظفاً حكومياً!

- ليس لكلامك مبرر منطقي.

- صدقيني هذا ما يحدث في الغالب، قليلون هم الذين لم تأخذ منهم حيواتهم لتمنح لأشخاص أخرين، لذي صديق درس علم البيولوجية لكنه وجد نفسه يشتغل كجمركي بنقطة تفتيش عند الحدود، هو الآخر يكره عمله، و القاعدة تقول أن من يكره عمله لا يمكنه أن يقدم له الكثير و لهذا يختل وضع البلاد، بربك أولم يأخذوا منه حياته هو الآخر؟ أي ذنب اقترفنا نحن الذين فرض علينا عيش حيوات مغايرة لما كنا نتمناه؟

تطلعت إلى وجهه باهتمام الذي يرى الحقيقة لأول مرة و قالت:

- لربما معك حق.

- دعينا مني أنا، فلنتكلم عنك الآن، بأي مجال تشتغلين؟

- أنا تاجرة، أشتغل في بيع القطع الأثرية الثمينة.

- جيد، و ماذا كنت تريدين أن تصيري غير هذا؟

- موظفة حكومية.

****

حتمية القدر

اتصل بي وأخبرني بضرورة أن نلتقي في أقرب وقت ممكن، وحدد المساء كتوقيت للقائنا، لم يترك لي مجالاً لأدلي بدلوي في الموضوع ولم يدُر بباله أن يسألني إذا ما كنت حراً لتلك الليلة، أردت الاعتراض لكنني لم أستطع، لربما يحتاجني في أمر بالغ الأهمية، أو أنه يريد أن يستشيرني بموضوع يخصه كما يفعل في كل مرة، وافقت على لقاءه ليلتها.

التقينا كما حدد هو بشارع جون كيندي، ألقى علي تحية باردة كبرود ملامحه، فهمت حينها أنه ليس على ما يرام، ثم سألته:

- ما بك صديقي؟ ملامحك تبعث على الريبة!

قال:

- ليس لسبب في ذاته، كل ما في الأمر أنني قد ضقت ذرعاً بالحياة، أنت أعلم بحالي وبمساري ولربما أكثر مني، أريد أن أسألك ماذا ينقصني عن البقية، أتحدث عن ممن يتوفرون على وظائف وأولئك الذين يعيشون وضعاً

اقتصادياً مريحاً؟ أو ليس لدي أنا الآخر مساراً تعليمياً ناجحاً؟ قل لي أين الخلل؟

تطلعت إلى وجهه الكئيب للحظات و قلت:

- كل ما أنا متأكد منه أن ليس بك ما يمنعك عن ذلك.

- بربك، وأين الخطأ إذاً؟

- عليك أن تعلم أن للقدر دخل كبير بحياتنا، كلنا نسعى للنجاح و نعمل كل ما في وسعنا لتحقيقه، قد يستغرق منا الأمر مجهود سنوات، لكن ليس هنالك ما يضمن لنا أننا سنفلح.

- ولماذا سنجتهد إذا كان للقدر كل هذا الدور في حياتنا؟ ولماذا نسعى أصلاً؟

- لكل واحد منا شيء خلق لأجله، كل ما علينا أن نسعى في عدة أمور لندرك هدفنا من الحياة.

- أراك تهذي!!! كيف يمكننا تجريب عدة أمور و مجالات لننجح في واحد منهم؟ من لديه القدرة لذلك؟

- ببساطة يجب أن تكون لك القدرة على فعل ذلك، لكي لا تموت غماً و كي لا تضحى فريسة سهلة للفراغ و الموت المعنوي.

وصلنا إلى تقاطع شارعين وجلسنا على مقعد إسمنتي بقرب الرصيف، صمتنا لمدة ليست بالقصيرة ونحن نجول بناظرنا باتجاه الشارع والمارة، تراءى لي رجل بلباس حكومي ينتظر سيارة أجرة، توقفت أمامه واحدة غير أنه امتنع عن ركوبها لسبب من الأسباب، بعدها بلحظات توقفت أمامه سيارة أجرة أخرى، استقلها وتحركت باتجاه شارع لامبادوريا، وقبل أن تغيب عن أنظارنا اعترضت طريقها شاحنة كبيرة خرجت عن مسارها لتصطدم بها بقوة، توفي الموظف الحكومي في الحال، هالني المنظر ثم التفت باتجاه صديقي وقلت:

هذا هو القدر ستشغل نفسك وتهيم على وجهك بهذه الحياة، ستأخذها بجدية وحزم، ثم تتفاجأ وبدون سابق إنذار إلى أنه قد انتهت رحلتك بها، دع الأمور للقدر.

****

احتمال

استلقى على لحافه البسيط، وهو يعد سنوات عمره الضائعة، استحضر حياته كلها في ثوانٍ معدودات، لأن ليس فيها لحظات كثيرة تستحق التذكر، حياة قضى أغلبها في التردد على مكانين، مقهى الحاج بوشعيب وسوق بيع الخضار بالجملة، يشتغل به حمالا لساعات طوال باليوم وبثمن زهيد بالكاد يكفيه لدفع إيجار غرفته وشراء أكل حتماً لا يسمن لكنه يغني عن جوع، دار كل هذا في خلده وبدأ تساؤل الذات يندفع إلى دهنه بشكل عنيف:

- كيف استطعت الصمود كل هذه السنين؟ وكيف أمكنني العيش على أكل طعام ليس به أي منافع صحية؟ صدق صديقي العربي حين قال:

- نحن نأكل فقط للبقاء على قيد الحياة، ليس لهدف سوى لكي لا نموت.

صوب نظره باتجاه سقف الغرفة، تملكته هلوسات وتخيلات حياله.

ماذا لو هوى عليّ السقف؟ أرى أنه سيكون رحيماً بي ويعفيني من العيش على أعقاب هذه الحياة القاسية، ما دوري بها؟ لاشيء فأنا أعيش على هامشها، أعيش خارج إطارها الذي يمنع السقوط، نحن الهامشيون من الهين على الدنيا أن تسقطنا، لن تضطر حتماً إلى تتكبد عناء كبيراً لإزاحتنا من عليها، نحن معرضون أكثر من غيرنا لأسباب الفناء، (منا المتشردين، شاربي نبيذ عفن، عمال بناء كادحين، وحتى متسولين ....) لعلي أحسن حالاً من المتشردين على الأقل، فاحتمالية موتي بسبب محتمل واحد أفضل من أن أكون عرضة لعدة أسباب وفاة محتملة، أقصى وأسوأ ما يمكن أن يحدث لي هو أن يتداعى السقف ليسقط على جسمي الواهن ويجدونني ميتاً تحت الأنقاض، لكن لا بأس أصبحت أفضل الموت على الاستمرار في مهزلة يمكن أن نسميها أي شيء سوى حياة.

فجأة وقبل أن يستفيق من شروده ذاك، سمع صوت مصدره السقف، أمعن النظر فيه بسرعة وبعينين جافلتين، تبين له أنه به شقوق كبيرة حدثت للتو، قام من مكانه بسرعة وبدون أدنى تفكير قفز من النافذة كرد فعل بديهي وغير محسوب، سقط من مسافة مئتي متر، ليرتطم بالأرض مفارقاً للحياة.

تجمهر الناس حوله في هلع وذعر شديدين على شكل حلقة، مر بجانبهم رجل طاعن في السن، ألقى نظرة سريعة و قال:

سبحان الله هو وحده من يعلم على أي حال سنموت.

****

حضور و غياب

في كل مساء و منذ سنوات، اعتاد رؤية رجل عجوز بثياب رثة يمر من أمام بيته ويعود بعد ساعات معدودات حاملاً أكياساً بهم ما لذ وطاب من المأكولات، اعتاد صاحب المنزل الخروج إلى الشرفة لتدخين سيجارته الشقراء في كل مساء و اعتاد كذلك الرجل العجوز على المرور من هناك في نفس الوقت، صحيح أنه وقت واحد ومكان واحد، لكن لكل واحد منهما أولوياته و تطلعاته في زمكان موحد ولربما لاختلاف عمرهما دخل في اختلاف انشطتهما و تطلعاتهما، لاحظ صاحب المنزل أن الرجل توقف عن المرور من أمام منزله لعدة أيام ولم يعد يظهر أبداً، شعر بالأسى لذلك، صحيح أنهما لم يسبق وأن تحدثا لكنه أصبح جزء من تفاصيل حياته وكأن أرواحهما التقيا، كان يعتبره صديقه رغم أنه لم يخطر بباله أبداً أن يقترب منه أو يلقي عليه التحية ثم قال في غيابات نفسه:

- غريب أمر الدنيا، كيف تعلقت بهذا الشخص رغم أنني لم أكلمه يوماً ولربما لا يعرف حتى بوجودي، لماذا حينما نجلس بمكان واحد نراقب من

خلاله العالم نصبح أكثر حساسية وتفكيراً على عكس الرجل الذي لا يعني له منزلي وشرفتي سوى فضاء كباقي الفضاءات، أوليس هنالك مكان نفسي؟ آو يعتبره هو الآخر مجرد جدران؟

شعر بالقلق حيال غياب الرجل، وكأن قطعة من روحه قد بثرة بغيابه، ارتأى أن ينتظر إلى الغد لعله يمر، وإذا لم يحذث ذلك فسيضطر إلى البحث عن مكان مقامه ليزوره، انتبه إلى أن سيجارته لم يتبقى فيها إلى عقبها وهو الذي لم يسحب منها ولو نفساً واحداً لشروده، أطفأ عقاب السيجارة وخلد إلى النوم.

سمع صوتاً منهكاً واهناً ينادي باسمه، فتح عيناه، فتراءى له الرجل العجوز أمامه، نظر إليه بابتسامة رقيقة وقال:

- أعلم بوجودك وبحبك لي ولتعلم أنني أنا الآخر أحبك، فقد اعتدت رؤيتك قبل الوصول إلى منزلك، لكنك لم تلحظ ذلك، لا تنتظرني بعد الآن فقد مُتُ، لأن من كان يغدق علي بالأكل قد مات قبلي، فلم أجد ما آكله وما زاد الطين بلة أنني أقعدت ولم أعد قادراً على الخروج من المنزل بعد موته مباشرة، مما جعلني أموت جوعاً.

صحيح أنك اعتبرتني جزء من حياتك، لكن هذا غير كافٍ، لم يكن يجدر بك أن تبقى بعيداً وتكتفي بمشاهدتي أمر بجانب منزلك لأتدبر أمر مأكلي.

صعق صاحب المنزل و قال:

- أعتذر لأنني ارتكبت خطأ فادحاً، كان يجدر بي أن أساعدك عوض الاكتفاء بمراقبتك، لكن لم يعد الآن في وسعي ما أفعله أشعر بالذنب والخزي.

- لا، لم يفت الوقت بعد، لا زال بإمكانك أن تستدرك خطأك.

- و كيف؟

- زر قبري وقتما سمحت لك الظروف بذلك، ووزع الأكل على الأطفال المتشردين هناك، لقد أصبحوا أصدقائي وأنا كذلك أراقبهم دون أن يدركوا ذلك.

****

أميرة أمازيغية

سار يلتهم الطريق الميل تلو الآخر، في مسالك جبلية صعبة، كل زاده قنينة ماء كبيرة وقطعة خبز حاف، يسير قرابة الثلاثة كيلومترات ويتوقف ليستريح، قطع مسافة كبيرة تطلبت منه سبع ساعات من المشي شبه المتواصل وما أن ينهكه التعب، حتى يبحث عن شجرة ليسترجع أنفاسه تحت ظلالها الوارفة وفي عينيه عزم كبير على لقاء حبيبته التي لا تعلم بحبه لها، جابه في طريقه عدة عراقيل كانت كفيلة بأن تنهي رحلته تلك، غير أن ولعه بها ورغبته في رؤيتها يزكي فيه روح العزيمة والإصرار، بعد عناء طويل وصل إلى قرية أميرته والتي تدعى "آيت ميلك"، اقترب من بيت أسرتها وجلس لعله يظفر برؤيتها ولو للحظات، افترش بطانية صغيرة سوداء لقضاء ليلته هناك، قبل أن يتوجه بالغد إلى ساحة معروفة بالقرية ينظم فيها مهرجان غنائي أمازيغي، كان يوقن تمام اليقين أنها ستحضره، لأن القبيلة تعد غياب شخص تابع لها إخلالاً بالموروث المتعارف عليه منذ عقود وسيضطر إلى دفع جزية لصندوق القبيلة، وقبل أن يداهمه النوم

بلحظات، تراءت له أميرته بقرب المنزل وهي تحمل في يديها دلواً صغيراً، شعر بتدفق عنيف للأدرينالين بشراييه وبدأ قلبه يخفق بطريقة وكأنه لم يخفق قلبها، شرد بتفاصيل وجهها الأمازيغي المنير وتمنى لو استطاع الاقتراب منها أكثر فأكثر، فكر في أن لا يتسرع ويترك الأمر للغد، لاشك وأنه سيكون ممتناً لهذا المهرجان الفريد، وما أن دخلت وأغلقت الباب خلفها، حتى سمع صوت الناطق باسم القبيلة (البراح) يقول بصوت جهوري مسموع:

- يخبركم شيخ القبيلة بأنّ المهرجان قد ألغي هذه السنة بسبب خلافنا مع قبيلة أخرى، ردد هذه العبارة لمرات ومرات، وما كان من صاحبنا إلا أن أغمي عليه.

وضع القلم وابتسم ابتسامة عريضة وقال:

- بإنهاء قصتي هذه "أميرة أمازيغية" أكون قد انتهيت من مجموعتي القصصية الأولى.

****

محتويات الكتاب

إهداء	5
تقديم	7
آلات متزلفة	10
اللعنة!! زوجتي تتحول	13
امتداد	18
عودة من سراديب الضياع	20
اتفاق مبهم	25
إيمان منبوذ	29
بالخيال انفجرت	33
عدالة مكان	36
أنا من مات	39
تمرد	42
وسواس قهري	44
أعقاب حياة	46
الغرفة رقم 26	50

وحدة مغشوشة	59
لم يكن حلما	64
هده ليست حياتي	67
حتمية القدر	71
احتمال	74
حضور و غياب	77
أميرة امازيغية	80
محتويات الكتاب	82

تمت بحمد الله

سراديب الضياع

مجموعة قصصية

محمد الودير

الطبعة الأولى
1442 هـ 2020 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد
جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com